مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023
العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).
ص ص 518 - 539

الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا)

لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com
تاريخ الإرسال: 07/ 11/ 2022 ؛ تاريخ القبول: 03/ 12/ 2022

The meta-critic in contemporary Arab philosophical discourse (George Tarabishi as a model)

Abstract: Criticism of criticism or (meta-criticism) is like other concepts that take their space between various public perceptions to settle on a specialized idiomatic connotation after the stage of refinement and testing. Within the framework of the intellectual system that bears a number of intellectual and cognitive problems raised by Al-Jabri in his critical project; Tarabishi deliberately stormed the criticism of the mind with much scrutiny and revision, seeking his most prominent weaknesses, according to a controversial and shocking readability for some researchers. Nevertheless, Tarabishi did not hesitate to receive the concept of meta-criticism with its different levels in an attempt to create intellectual creativity within a space of freedom as he believes in adopting rules This kind of knowledge field. To what extent did Tarabishi make the difference and was he able to achieve transcendence amid critical discourses, most of which did not depart from the struggles of ideological thought, which represents the basis of the current crisis of reason.

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023

ص ص 518 - 539

العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).

Keywords: criticism ; mind; mind; Tarabishi; Freedom .

الملخص:

يعتبر نقد النقد أو (الميتانقد) كغيره من المفاهيم التي تأخذ حيزها بين مختلف التصورات العامة لتستقر على مدلول إصطلاحي مختص به بعد مرحلة الصقل والاختبار. وفي إطار المنظومة الفكرية التي تحمل جملة من الإشكالات الفكرية والمعرفية التي اثارها الجابري في مشروعه النقدي؛ عمد طرابيشي إلى اقتحام ماجاء به ناقد العقل بكثير من التمحيص والمراجعة ملتمسا أبرز نقاط الضعف لديه وفق مقروئية مثيرة للجدل وصادمة للبعض من الباحثين ورغم ذلك لم يتوان طرابيشي في استلام مفهوم الميتانقد بمستوياته المتباينة في محاولة لخلق إبداع فكري ضمن مساحة من الحرية كما يعتقدها في تبنيه قواعد هذا النوع من الحقل المعرفي. فإلى أي مدى صنع طرابيشي الفارق وهل استطاع تحقيق التجاوز وسط خطابات نقدية لم تخرج أغلبها عن صراعات الفكر الأيديولوجي الذي يمثل أساس أزمة العقل الراهنة .

الكلمات المفتاحية: النقد ؛ العقل ؛ العقل ؛ الطرابيشي؛ الحرية .

مقدمة:

لقد عُرف عن الخطاب الفلسفي منذ سقراط أنه خطاب نقدي، مُطالب على الدوام بالتزام مواقف نقدية تجاه مختلف القضايا التي قد تقف حجر عثرة أمام مساعي العقل في بلوغه الحقيقة، وهكذا الشأن بالنسبة للخطاب العربي المعاصر الذي دفعه المأزق الفكري والفلسفي

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

الراهن : ﴿المتمثل على ما نراه في الوقوف عند العلوم الموروثة دون تطويرها، أو في العجز عن ابتداع آفاق معرفية جديدة وتأسيس ميادين أخرى..إلى المراجعة والنقد﴾ (خويلدي، 2014) باعتبار أن هذا الأخير يعد شرارة انطلاق الفكر الحضاري نحو التقدم للكثير من الأمم والمجتمعات﴾؛ فالفعل الإنساني في حركيته المستمرة يمر بحالات انتقالية في الفكر والممارسة، مما يستوجب رصد الأفكار والسلوكات تصحيحا وتقويما لمسار هذه الأمم عن طريق الموازنة التي تضمن الوصول إلى الهدف المنشود والغاية المرجوة من خلال التعرف على آفاق وبدائل معرفية عالمية جديدة ومغايرة : ﴿وإذا كان النقد قد مثل أساسا مكونا لفكر الأنوار إلى جانب العقل؛ حيث تم توظيفه في سياق الصراع بين القديم والجديد، والتمييز بين الصواب والخطأ إلى درجة تحوّل فيها إلى محكمة كما سماها كانط أو إلى نقد مراقب، فإن الفكر الحديث والمعاصر حول النقد إلى نمط من الفكر، وإلى سلوك بل إلى علاقة اجتماعية يكتسب فيها صفة التخصص المنتج لمعرفة يقظة﴾2 (اخاية، 2014، صفحة 56) ولأن الفكر الفلسفي العربي يشكل جزءا من هذا الفضاء الفلسفي الإنساني العالمي على الرغم من خصوصياته البيّنة؛ فهو بذلك لا يكاد ينفك عن ذلك التنوع الثقافي الذي يعيشه الآخر(الغرب) والذي تُعد المعرفة ناتج تفكيره المركز في كل زمان، كما أنه يسعى في أغلب محاولاته الفكرية العربية إلى الاقتراب من أفق الحداثة الغربية بكل مستوياتها : ﴿فالحداثة في الغرب -كما هو معلوم- لها رافدان: الأول

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023
العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).
ص ص 518 - 539

استعمال العقل لتبرير الدين والجديد لإعادة فهم القديم، فهي حداثة في الوسائل وليس في الغايات*، وهو الرافد الذي راج في ثقافتنا العربية لأنه هو الذي تتحمله آخذة بالتدريج، فالدين العقلاني أفضل من الدين العقائدي، والمعتزلة أقدر حداثة من الأشاعرة، والرافد الثاني أكثر جذرية، هو العقل الذي يرفض أي استثناءات في موضوعاته﴾ (الصباحي، 2010، صفحة 21) ولأن بلوغ الحداثة لا يتأتى إلا من خلال استعمال العقل ونشر روح الفكر النقدي لتفكيك تلك البنى المغلقة التي عرفها العالم العربي والإسلامي؛ فقد راهنت الفلسفة العربية – بالرغم من اختلاف المرجعيات والمنطلقات الفكرية والانتماءات السياسية والإيديولوجية– على نقد العقل ابتداءً من مشروع نقد العقل العربي﴾ للجابري، و﴿نقد العقل الإسلامي لأركون وصولا إلى نقد الخطاب النقدي ذاته مع جورج طرابيشي من خلال نقد "نقد العقل العربي" وغيره..مما يؤكد أن النقد في المنظومة الفلسفية العربية اليوم يوصف بكونه نقدا حداثيا مغايرا للنقد المعروف بالتقليدي لأنه يستخدم آليات ومناهج جديدة في الكشف والتحليل نتيجة المثاقفة والاحتكاك مع الغرب، هو نقد يطرح في أسئلته مسؤولية تتعدى بذلك نقد العقل المعروف إلى نقد النقد نفسه، وبالتالي يتكون عندنا العقل المسؤول الذي يتجاوز العقل الفاحص والعقل الناقد، ولهذا نجد أن الفيلسوف العربي قد تأقلم مع هذا النوع الجديد من الفلسفة فأضحى هو الآخر مسؤولا عن المواضيع التي يقترحها مع الالتزام بمسؤولية الإجابة عنها وهذا ما

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023
العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).
ص ص 518 - 539

سمح له بتبرير القول الفلسفي العربي من التقليد والتبعية، وبالتالي فتح آفاق جديدة للإبداع فيه» (طه، 2002، صفحة 16).

طبيعة الميتانقد

تمثل الفلسفة إذن فكرا إشكاليا نقديا مناقشة السؤال فيه أهم من انتظار الجواب، فهي تدفع بالعقل نحو إمكانات جديدة تطوي عنه صفحات العجز أخذا بآفاق التمرد الفكري المبدع في مختلف الحقول المعرفية» والحقيقة أنه إذا كان طرح السؤال هو الخطوة الأولى في عالم البحث والمعرفة؛ فإن طرح السؤال الصحيح هو الضمان الأول للحصول على الجواب الصحيح، ذلك لأن السؤال الخطأ يسترف العقول ولا ينتج في الأخير إلا إشكالات جديدة تعقّد الوضع المراد إصلاحه، وترجع بالباحث إلى نقطة البداية بعد ضياع الجهد والوقت، وإثارة كثير من الالتباس والتشويش في العقول» (بوكروشة، 2012، صفحة 24).

انطلاقا من ذلك وفي ظل الإيمان بالخصوصية الثقافية العربية الإسلامية من جهة وبحتمية الأخذ بالمثاقفة الغربية الواعية من جهة أخرى يلتزم البحث باستحضار بعض الأسئلة التي ما تزال – على الأرجح- مداخل أساسية لكل تفكير نقدي يحاول استيعاب مقدار أزمة العقل الحاصلة في عالمنا العربي، أبرزها : ما أغراض تعامل مختلف السياقات النقدية العربية مع التراث في الفكر العربي المعاصر؟ وما مطلب النقد في الفضاء العربي الإسلامي اليوم، هل هو النقد من

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

أجل النقد؟ أم هو نقد من أجل استحقاق الحق؟ وهل الفكر العربي ملزم بالتماهي مع النقد في الثقافة الغربية إذا علمنا أن النقد يقف عند هذه الأخيرة في حدود النقد من أجل النقد، فهو لا يتطلّع لأفق ما أو لمثل أعلى على غرار الحال في الثقافة العربية الإسلامية؟.

تعمّ الأزمة الفكرية اليوم- كما هو معلوم- الوطن العربي برمته من مشرقه إلى مغربه، مما جعل رواد الفكر العربي المعاصر يسابقون الزمن في محاولة تكريس مبادئ التغيير من خلال خطاباتهم النقدية التي يرون فيها حاجة ملحة من أجل تحقيق تفاعل فكري عربي يشجع على النهوض والمغايرة والتميز والتي تميل أحيانا لنقد ذاتها، وأحيانا أخرى لنقد الآخر فيما قد تجمع بين نقد الذات والآخر في أحيان كثيرة، على أن : ﴿النقد سواء اتخذ شكل نقد الإنسان لذاته أو ذويه أو لمجتمعه، هو دليل قاطع على عمق وشائج الصلة والإخلاص والمحبة بين الناقد وما ينقده﴾ (الجابري، بنية العقل العربي، 1986، صفحة 12) وهو اهتمام يومئ بنظرة جادة نحو التفلسف الذي يفرض نفسه بينهم اليوم، والذي لم يعد بنظرهم حكرا على الآخر(الغرب)، بل أصبح : ﴿لكل مجتمع الحق في التفلسف والحق في الاختلاف، لأن ثقافته مختلفة ولكن مع شرط الاعتراف بذلك الحق لغيره﴾ (طه، 2002، صفحة 21).

مقاربة إبيستيمولوجية في نقد نقد العقل العربي: (جورج طرابيشي)

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

شغلت محاولة استقراء التراث العربي الإسلامي – رغم صعوبته على الفهم لاختلاف هوياته، أساليبه ومناهج التفكير فيه- في الآونة الأخيرة حيزا هاما في الفكر العربي المعاصر؛ إذ برزت العديد من الدراسات النقدية والمقاربات رغم تباينها والتي أقر أصحابها على ضرورة التحاور مع الماضي، وهو ما حرص عليه الجابري بعد أن بدا له أنه : ﴿من المستحيل علينا نحن العرب أن نجد طريقا للمستقبل ما لم نجد طريق الماضي، وبعبارة أخرى لا يمكن للعرب أن يحلوا مشاكل المستقبل إلا إذا حلوا مشاكل الماضي، إلا إذا أحصوا وحاصروا رواسبه في الحاضر، وإذن فالمعركة يجب أن تكون نقدية ويجب البدء برفع الضباب عن رؤية الماضي كي تتضح رؤية الحاضر والمستقبل﴾ (الجابري، الخطاب العربي المعاصر، 1982، صفحة 206) فالتراث عند الجابري ضرورة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل لذلك اختار أن يتعامل معه بشيء من الموضوعية والعلمية والمعقولية، فهل استطاع الجابري فعلا تجاوز قراءة العصر بأدوات الماضي في إطار ما كان يدعو إليه من ضرورة تجاوز القراءة التراثية للتراث؟ ..وكيف تناولت أبرز الدراسات النقدية المعاصرة أفكار الجابري النابعة من نقده الإبستيمولوجي للعقل العربي؟..وما حقيقة إمكانية التجاوز في قراءة نقد النقد داخل فضاء الفكر العربي المعاصر؟..

لقيت أطروحات الجابري – كما هو معلوم- اهتماما بارزا من قبل العديد من المفكرين العرب المعاصرين، لاسيما مشروعه نقد

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

العقل العربي بأجزاءه الأربعة* كونه يتضمن تحليلات وتفصيلات موسوعية للتراث العربي الإسلامي، مما جعله عند غالبية الدارسين للفكر العربي عامة مما يحسب له في مجال الدراسة العلمية المتكاملة، ولعل ذلك ما جعل أفكاره تتصدر قائمة الدراسات النقدية العربية المعاصرة التي تسعى لدفع الفاعلية الفكرية نحو المعارف؛ فقد وُضع متنه موضع المراجعة والتمحيص وهو ما يزال لحد الساعة قيد الدراسة والبحث من قبل العديد من المفكرين، ولعل أبرز هذه الدراسات كتاب «هل هناك عقل عربي؟»هشام غصيب» (1993)، وكتاب «يحي محمد»نقد العقل العربي في الميزان» (1997)، وكتاب «نقد نقد العقل العربي لطرابيشي» بأقسامه الخمسة الذي اخترناه محورا لمبحث نقد النقد لتعدد زوايا النظر فيما أدرجه من متابعته النقدية لطروحات الجابري بعد فترة إعجاب وانبهار**، الأمر الذي سمح بتعدد الأسس المعرفية والمفاهيمية التي سنسلط الضوء عليها كونها شكّلت إضافة متميزة ولا شك في المنظومة الفكرية العربية المعاصرة.

لقد تحمّل طرابيشي مسؤولية تفكيك جملة من الإشكالات والأسس المعرفية الإيبستيمولوجية التي أقامها الجابري في دراسته النقدية، وذلك بغية الوصول تباعا إلى نقض النتائج التي انتهى إليها بناء على ما توصل إليه من خلال النقد، ورغم أنه قد: «لامني – يقول طرابيشي- أكثر من صديق وقارئ على كوني وضعت نفسي في مأزق عندما كرست كل هذا الوقت (نحوا من خمسة عشر عاما)، وكل هذا المجهود

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

(أربعة مجلدات حتى الآن) لأرد على مشروع الجابري في نقد العقل بدلا من أن أنصرف إلى إنجاز مشروع شخصي في قراءة التراث العربي الإسلامي هذا المأخذ صحيح وغير صحيح في آن واحد، فهو صحيح مادام كل مشروعي –لا أحب كثيرا هذه الكلمة المتنرجسة– قد انحصر بنقد النقد، ولكن هل فعلا ما فعلت شيئا سوى أن رددت على الجابري؟» (طرابيشي، العقل المستقيل، 2004، صفحة 9).

يعتبر سؤال طرابيشي المصحوب بنفي الاعتقاد الجازم نقطة انطلاق المسار النقدي الذي يحتاج منا إلى توثيق الفكرة من خلال الخوض في أهم المعطيات والمناهج التي ساقها ناقد العقل العربي إلينا ضمن تحليلاته التفصيلية التاريخية المتضمنة لعمليات الحفر المعرفية المعمقة. فهل استطاع طرابيشي تكوين تصورات صحيحة وبديلة تجاوز من خلالها تحليلات الصورة الموسوعية الأصيلة التي حاول الجابري تكريسها من قبل؟..

يرى طرابيشي أن : «أي مشروع لنقد النقد ينطوي لا محالة في شق منه على الأقل على ضرب من الاسترقاق الذليل، فليس لنقد النقد أن يصيب حظا من المصداقية ومن النجاح في إصابة هدفه مالم يقيّد الناقد نفسه بمنقوده ويحذوه بما يكاد يشبه حذو النعل بالنعل، وعندما يكون المنهج التفكيري للمنقود قائما كما في حالة محمد عابد الجابري على صياغة إشكاليات مغلقة أشبه ما تكون بحبائس، فإن درجة تبعية الناقد لمنقوده تتعاظم لأن من طبيعة الإشكالية المغلقة ألا

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023
العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).
ص ص 518 - 539

تقبل الخضوع للتفكيك النقدي إلا من داخلها وبعد الانئسار بين كفي كماشتها» (طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، 1998، صفحة 7) هي إشكالات أغلقها الجابري فيما يبدو بإجاباته أراد طرابيشي فتح أبوابها الموصدة من جديد بأسئلته التي تناقش عمق التأصيل النظري الذي أقامه الجابري للعقل، على اعتبار أن التوظيف المفاهيمي لكلمة عقل –بحسب طرابيشي– يعد من أهم أسباب شهرة مؤلفات الجابري في الوطن العربي على الرغم من أن المفهوم كان له سبق الممارسة النظرية على يد العديد من المفكرين من قبله من أمثال زكي نجيب محمود إلا أن تميز الجابري ألزمنه إعادة الاعتبار للعقل والعقلانية خاصة بعد هيمنة الإيديولوجيا إثر هزيمة (1967). إن اهتمام الجابري بمفهوم العقل وتميزه بحسب طرابيشي عن باقي المفكرين العرب المعاصرين بقدرته على توظيف المفهوم واعتماده على التأسيس النظري أو الإبيستيمولوجي، ونقله من مستوى اللفظ أو المعنى إلى مستوى المفهوم كل ذلك لم يكن كافيا لأن يشفع لناقد العقل العربي عند من أراد تأكيد موقفه النقدي بالوقوف بالتحليل المعمق لطروحاته على أثر مشروع نقد نقد العقل العربي، وانطلاقا من ذلك يمكن تقسيم الإشكالية العامة لنقد النقد الذي تبناه طرابيشي إلى محورين رئيسين:

يتعلق الأول : «بالثابت البنيوي الدائم في طريقة الاستدلال الجابرية» (طرابيشي، نظرية العقل، 1999، صفحة 347) حيث وجّه طرابيشي أصابع الاتهام لناقد العقل العربي كونه قام بممارسة

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023
العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).
ص ص 518 - 539

المناقضات والمزايدات على حضارات العالم؛ ويظهر ذلك في تزايده بالمدح على العقل الكوني الذي تمثّله الحضارة اليونانية والأوروبية ويتحدّان به الماهية -بحسبه- والهوية، فيما ينتقد العقل العربي ويراه خلافا بالصد لهذا العقل الكوني. أما الإشكال الثاني فيتعلق باتهامه ونقده بالتحريف متّخذا من الحفر منهجا لإعادة النظر في الأبنية المفاهيمية التي ساقها الجابري لتفكيك مقولاتها، ومن ثم تصحيح ما أمكن بوضع الصيغة الحقيقية كما يعتقدها طرابيشي والتي تليق بها على اعتبار أن: ﴿تقنية التلصيق المفاهيمي التي تمارسها الإيبستيمولوجيا الجابرية..تنزع المفاهيم من نسقها الأصلي نزعا عنيفا وتزج بها زجا لايقل عنفا في نسيج النسق الجديد ..لقد وجدنا - يقول طرابيشي- ناقد العقل العربي يستعير باعترافه مفهوم النظام المعرفي (الإبستمية) من فوكو، ووجدناه يستعير بغير اعترافه مفهوم البنية اللاشعورية من ليفي شتراوس، وبما أن هذه الاستعارة المزدوجة جاءت لا من مصادرها بل مفصولة عن سياقها فقد توهم ناقد العقل العربي أنه مستطيع أن يلصق المفهومين أحدهما بالآخر لصق محمول بالموضوع﴾ (طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، 1998) علما أن مفهوم البنية اللاشعورية فيما يعتقد طرابيشي يتناقض تعريفا مع مفهوم النظام المعرفي*.

وفي هذا السياق؛ توجّه طرابيشي نحو اختراق أطروحة الجابري بتفكيك أبرز ثلاث إشكالات هي:

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

-إشكالية التدوين الذي يمثل الإطار المرجعي للعقل العربي.

- إشكالية اللغة والعقل.

-إشكالية البنية اللاشعورية للعقل العربي.

وقبل التعليق على تلك الإشكالات اختار ناقد نقد العقل العربي الخوض بالتعليل النقدي في مسألة مفهوم العقل التي استند إليها الجابري ليخلص بالتشكيك بدرجة استناد الجابري إلى لالاند معتبرا أن :﴿الجابري لم يتعّرف إلى نظرية لالاند في مصدرها الأصلي(كتاب العقل والمعايير)..وقد قاده ذلك لبناء تحليله للعقل العربي على تشطير هذا العقل تشطيرا ثلاثيا وقطعيا إلى عقل بياني وعرفاني، وبرهاني وبدلاً من أن يرد تجليات هذا العقل في مجالات الفقه وعلم الكلام والتصوف والفلسفة إلى البنية العضوية الواحدة التي تصدر عنها..فأدى التشطير إلى إنزال العقل منزلة الجوهر الفرد القائم بذاته والمنغلق على نفسه ومن ثم قيام حرب مواقع وخنادق بين هذه العقول (عيد، 2005)مما قد ينشأ عنها إضافة لذلك بعض الاختراقات التي يتيحها العقل البياني في تعاقده مع العقل العرفاني (الغزّالي)، أو العقل العرفاني مع العقل البرهاني (ابن سينا)، هو تحالف يسمح بعودة أشكال الموروث اللاعقلاني القديم﴾ التي ستستعيد مواقعها التي خسرتها بظهور الإسلام، ومن ثم الانتصار للمعقول الديني : ﴿كل ذلك فوّت على الجابري - بحسب طرابيشي- فرصة قراءة وحدوية وجدلية معا للعقل الإسلامي؛ وذلك عندما لم

ينتبه إلى الوظيفة النقدية للعقل المكوَّن الذي ينبغي أن ينتفض ضد ذاته بوصفه (مطلقا)**..» (عيد، 2005) .

عمد طرابيشي في أولى مؤلفاته النقدية ضمن كتابه (نظرية العقل) إلى التنقيب في المراجع التي استند إليها الجابري ونقدها لتشكل السمة الرئيسة في معظم فصوله، : «ولقد شاءت الصدفة – يقول طرابيشي- أن أقع على الأصل الأجنبي لشاهد كان وظّفه الجابري في إسناد أطروحاته، فدهشت لما وجدته في روحه وحرفه معا ينطق بعكس ما يقوله، ومن ثم اندفعت أتحرى عن شواهد الجابري وأتحقق منها واحدا فواحدا، سواء كانت عربية أم أجنبية فانفتح عندئذ أمامي باب أكبر للذهول، فليس بين مئات شواهد الجابري وفي تكوين العقل العربي سوى قلة قليلة ما أصابها تحريف أو تزييف أو توظيف بعكس منطوقها..» (طرابيشي، نظرية العقل، 1999، صفحة 9) الأمر الذي أحاله إلى الاهتمام أكثر بما اضطلع به فيما ورد في كتاب الجابري «تكوين العقل العربي» : «ومن ثم ارتددت - يقول طرابيشي- نحو تكوين العقل العربي أقرؤه بعين جديدة وبمحاسبة نقدية صارمة، وعندئذ اكتشفت أن الزيف ولا أتردد في استعمال هذه الكلمة يكمن في الإشكاليات نفسها وليس فقط في تعزيزاتها وحيثياتها من الشواهد» (طرابيشي، نظرية العقل، 1999).

لقد اكتفى طرابيشي - فيما يبدو- بعد ذلك في كتاب إشكاليات العقل العربي بتلقائية التعليق على مسألة عصر التدوين

بوضع المفهوم بين قوسين للتلميح: ﴿إلى أننا-يقول ناقد نقد العقل العربي- لا نعترف بشرعية هذا التعبير؛ فهو يسمى سلفا العصر بما يريد أن يوحي به في نوع من المصادرة على المطلوب، وبمعنى آخر أنه تعبير غير بريء ولا محايد إيبستيمولوجيا﴾ (عيد، 2005) مؤكدا أنه مفهوم اختزل ما انطوت عليه أطوار إنتاج الثقافة العربية الإسلامية، والتي عرفت بانتقالها من الطور الشفهي إلى الطور الكتابي في نص أحاله الجابري إلى مسألة التبويب والجاهزية المعرفية، ولعل : ﴿المسألة المركزية التي أراد ناقد النقد أن يبرهن عليها هي التأكيد على الزمن المبكر لعصر التدوين الذي يعود إلى النصف الثاني من القرن الأول للهجرة خلافا لتحديد الجابري الذي يتأخر به حتى منتصف القرن الثاني للهجرة، وأن التدوين الأول المبكر هو النموذج الأول لكل تدوين لاحق والذي هو تدوين القرآن، لكن ناقد صاحب نقد العقل العربي يقفز تماما فوق الواقعة القرآنية ليجعل من منتصف القرن الثاني إطارا مرجعيا يتيما للعقل الذي يتصدى لنقده..ليجعل من تدوين الحديث هو البداية المطلقة لعصر التدوين*﴾ (طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، 1998، صفحة 13) ولعلها محاولة أرادها طرابيشي لإنشاء مقاربة تليق بتلك الزاوية الإيجابية المتمثلة أساسا في إبداع عقلي يمكن أن يمتد إلى شتى مجالات الفكر والمعرفة. وفي خضم الإشكالات السابقة التي اقتحمها ناقد النقد بالتمحيص والمراجعة، اجتمعت لديه جملة من الردود الإضافية حول مسألة اللغة العربية

كونها مثّلت سلطة مرجعية أولى في تكوين وبنية العقل العربي لدى الجابري، نافيا من خلال ذلك الأخذ بأسطورة تحديد جمع اللغة العربية في عصر التدوين بحصرها في عرب البدو والصحراء فقط دون سواهم، فاللغة -بحسب طرابيشي- لم تتكون إلا في محيط مشترك غط بالجملة عموم شبه الجزيرة العربية، وهي لم تكن يوما لغة بدوية خالصة بل حملت تأثيرا مزدوجا بين البدو والحضر،كما أنها تميزت بجمعها بين بلاغة الشعراء ودقة المصطلح الفلسفي : ﴿ولو صح أن اللغة العربية لم تؤخذ إلا عن طي وتميم وأسد لكانت اللغة العربية بذلك لغات قبائل ولهجات قبائل، ولما كانت هي تلك اللغة المشتركة التي نظم بها الجاهليون أشعارهم المخاطبة لجماع قبائل العرب، لا لقبيلة بعينها، والتي هي عينها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الذي كان بدوره خطابا إلى كل العرب، مفهوما من قبل كل العرب﴾ (طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، 1998، صفحة 177) أما في علاقة هذه اللغة بالعقل؛ فقد لزم طرابيشي محاجّته التفصيلية التي بدأها للتصدي لما رآه من نظرة الجابري اللاتاريخية بحسبه، والتي تحمل بين طياتها أحكاما معيارية مسبقة حول قضية اللغة والعقل العربيين مبينا على إثر ذلك أن هذه اللغة كغيرها من لغات العالم التي عرفت تطورات مرحلية وتطورات، وإذا كانت هذه اللغات لها الفضل في تحديد العقل والثقافة فلا يمكن إنكار إمكانية أن تتحدّد بهما، مما يجعل من التأكيد القول أن تخلّفهما ليس أبدا مسؤولية اللغة بينما قد يصح العكس.

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

وقد نوّه طرابيشي -إضافة لما سبق- بأصل مفهوم البنية اللاشعورية التي أحالها الجابري بحسبه إلى معنى غير تاريخي من خلال مفهومي الهوية والتماثل في استخدامه لهما كسبيل أمام انتشار مفهومه الشهير بالقطيعة المعرفية، فمصطلح اللاشعور يرى فيه طرابيشي تناقضا في حد ذاته إذ أن المعرفة هي حركة ازدياد في الوعي، وهي موضوع الإبستيمولوجيا فكيف -بحسبه- يكون هناك لاشعور معرفي؟ ! وقد سعى للكشف عن حقيقة مديونية ناقد العقل المزعومة بحسبه لكل من فوكو، ليفي شتراوس وبياجيه مؤاخذا إياه : ﴿توظيفه لمفهوم (اللاشعور المعرفي) المنسوبة أبوّته إلى جان بياجيه بالمضادة التامة من منظومة الأطروحات التي صنعت الشهرة العالمية لمؤسس السيكولوجيا والإيبستيمولوجيا التكوينيتين، ليتهمه بأنه لم يقرأ بياجيه قط، بل أن جهله بياجيه يصفه بالفضيحة المعرفية، وذلك لأن بياجيه لا يرفض فكرة (مفاهيم لاشعورية) فحسب، بل يجعل أيضا من المفاهيم عنوان الفكر الواعي﴾ (عيد، 2005) وفي ظل القسمة الثلاثية للنظام المعرفي للثقافة العربية الإسلامية إلى بيان، عرفان وبرهان يرى طرابيشي أن الجابري قد أقام تحيزا لطرف ضد طرف آخر في دراسته البنيوية للعقل العربي، وهو في ذلك : ﴿يطبق – بحسبه- القطيعة داخل الفكر العربي لا بمعناها المعرفي الباشلاري، بل بمعناها العرقي﴾ (طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، 2012، صفحة 65) إضافة إلى ممارسته الضدية بين عقل أوروبي يوناني/ المعقول، وبين اللامعقول

الذي يمثله المغرب / المشرق، بل وبين المغرب والمشرق نفسه، وهو ما يشبه ما قام به ممثلو أصحاب المركزية الإثنية الأوروبية في القرن التاسع عشر ومن أبرزهم : رينان أرنست Ernest Renan (1823 /1892) الذي : ﴿قام بتصنيف الجنس الآري في مجال الفلسفة ومجالات أخرى﴾ (الجابري، التراث والحداثة، 2020، صفحة 65)الأمر الذي جعل من دراسة ناقد العقل – بحسب طرابيشي – قريبة من الطبيعة الاستشراقية التي تحمل قمة معاني العنصرية . فما القيمة المعرفية للطروحات النقدية التي واجه بها طرابيشي صاحب مشروع نقد العقل العربي؟ وهل تمكن من تجاوز الاتهامات التي تصدى لها من خلال تبنيه لنقد النقد؟..وما البديل الذي طرحه في مقابل ذلك؟ .

يندرج مشروع طرابيشي كما هو معلوم ضمن حقل نقد النقد المعرفي الذي يفترض أن يحمل صفة مختلفة للتجاوز والتغيير انطلاقا من التصدي الموضوعي الممنهج بالتفكيك والتمحيص لكل مجهود ومساهمة فكرية بعيدا عن أي أدلجة مغلقة أو استبداد معرفي تحكمه عقد مستفحلة، وعلى اعتبار أن الفكر كما يقال لا يصقل إلا بالفكر وأخذا بمبدأ لا مجاملة في صراع الأفكار وتنافسها، فلعلنا لا نبتعد في هذه الحالة عن الصواب إذا قصدنا مشروع طرابيشي ذاته بالنقد والمراجعة قصد إزالة اللبس عن بعض ما علق في الذهن من

تناقضات أرّقت مسعاه، وأثقلت خطاه في الوصول إلى الحقيقة وإن بدت نسبية لولوجها أصعب مجالات الفكر وهو التراث.

لقد وُفّق طرابيشي ولا شك إلى حد ما فيما أثاره من إشكالات معرفية قد تدين مشروع الجابري بشكل أو بآخر من ذلك حرصه في تبيان قرائن التزييف والانتحال المختلفة، ورغم ذلك لم تكن ممارسته النقدية تلك فيما يبدو إبستيمية خالصة بمستوى فكر ناقد النقد، وكما ينبغي لها أن تكون حين ركز في مجمل ما قدّم على جزئيات أوقعته في العديد من المتناقضات والتغييب الذي نقد فيه الجابري، مما جعله يتعارض مع النظرية التي يطرحها لتتحمل نتائجها خبايا أحكام إيديولوجية أثّرت بشكل أو بآخر على أصل الواقعة الموضوعية المتوخاة، فإذا كانت القيمة الأساسية لمؤلفات تكمن بشكل واضح في تصدّيه لمسألة القطيعة بين الفكر المغربي والمشرقي بسبب عقلانية الفكر الأول ولاعقلانية الفكر الثاني؛ ومحاولته توثيق تهافت الطابع اللاعقلاني "لإيبستيمولوجيا الجغرافية الحضارية" لدى الجابري وتسطير مرجعيّتها الاستشراقية (العقل للمغرب والقلب للمشرق) بدلا من : (العقل للغرب والعقل للشرق)؛ فهو – فيما يبدو– لم يسلم بأخذه بمركزية المشهد الفلسفي النقدي ذاته الذي نلمسه في الفكر العربي عموما، وهو ما يظهر لديه من خلال محاولته الضمنية لإثبات الأنا أكثر من تأكيده على وحدة العقل العربي الإسلامي، متوسّلا في ذلك بخلفيات الثقافة الغربية في مختلف اتجاهاتها

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

ومرجعياتها، ورغم أن طرابيشي اعتمد المنهج الأركيولوجي الذي لا تسعى المعرفة من خلاله :﴿ أن تكون دراسة نفسية أو اجتماعية ...بل تسعى إلى تحديد أنماط وقواعد الممارسات الخطابية التي تحكم الآثار الفردية وتوجهها﴾ (ميشال،، 2005، صفحة 129) إلا أنّ تفكيك طرابيشي قد مال بصورة واضحة إلى مفاهيم مستوحاة من علم النفس التحليلي والميكانيك كتبنيه مفهوم ﴿مرض العصاب﴾، خاصة عندما بدا له أن : ﴿ناقد العقل العربي المتشبث باستيهام القطيعة لن يكون أمامه بد، بدلا من أن يعترف بهذا التطور من أن يمارس إزاءه ضربا من إنكار عصابي﴾ (طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، 1998، صفحة 170) مما جعل تحليله نابعا من بنية نفسية لا شعورية بدلا من تحليلها على ضوء اللغة والمعرفة الواعية، يقول طرابيشي : ﴿ فالعصابية عندنا وكما يعلمنا الدرس التحليلي النفسي هي صفة لكل نظرية معرفية تقوم من جهة أولى على إستيهام الواقع ومن جهة ثانية على إنكار الواقع﴾ (طرابيشي، إشكاليات العقل العربي، 1998) فهل فعلا القراءة الجابرية لاواعية بحق استلزمت ذلك الكم من الانتقادات ﴾ ؟ !.

خاتمة

إن أبرز نقاط الضعف التي يمكن التماسها لدى ناقد نقد العقل العربي -إضافة لما سبق- هي عدم إعطائه لبديل عملي يوضح نقده الخاص للعقل العربي وفق منظومة فكرية متناسقة كالتي أقامها

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

الجابري وسعى إليها رغم بعض المآخذ المنسوبة لمشروعه، مما يؤكد أن فكرة نقد النقد في الفكر العربي المعاصر ما تزال أسيرة تحكّمات معرفية وثقافية وإيديولوجية تحتاج إلى ممارسة موضوعية أكثر وعيا وعلمية، تتوافق مع سمات الوضع المعرفي الراهن الذي يعيش أزمات متداخلة، وتستدعي من الدارسين مقروئية صارمة تنفي كل التباس قد يعيق مسار عقل ناهض يسعى لخلق إبداع بعيد عن كل تصورات إيديولوجية وميولات اجتماعية وثقافية أو سيكولوجية ألفت رفع شعارات النقد والمغايرة النظرية بعيدا عن مستحدثات عملية جادة تقاس بمستوى مسؤوليتها بنقدها الحقيقي للذات، وبمستوى قدرتها في توجيه متطلباتها الفكرية نحو مناهج غربية قد تتعامل معها لتضيف إلى الخصوصية العربية الإسلامية جمالية المعنى الدال على الاستقلالية في الفكر والمعرفة لا يقوم مسعى النقد فيها عبثيا (أي نقد من أجل النقد) بل من أجل استحقاق الحق : ﴿والتحرر عن كل ما هو ميت ومتخشب في كياننا العقلي وإرثنا الثقافي والهدف فسح المجال للحياة كي تستأنف فينا دورها وتعيد فينا زرعها ولعلها تفعل ذلك قريبا﴾ (الجابري، تكوين العقل العربي، 1985، صفحة 9)

وفي ظل الصراع الفكري القائم وأزمة العقل الراهنة تبقى إمكانية التجاوز المعرفي للخطاب النقدي العربي المعاصر فكرة يُنتظر تحقيقها...

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

المراجع :

جورج طرابيشي. (1998). *إشكاليات العقل العربي* (الإصدار 1). بيروت: دار ساقي.

جورج طرابيشي. (1999). *نظرية العقل* (الإصدار 2). بيروت: دار ساقي.

جورج طرابيشي. (2004). *العقل المستقيل* (الإصدار 1). بيروت: دار ساقي.

جورج طرابيشي. (2012). *مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة* (الإصدار 3). بيروت: دار الساقي.

حليمة بوكروشة. (2012). إشكالية المنهج الأصولي في الفكر الاجتهادي المعاصر. *جلة الإسلام في آسيا، 9*.

عبد الرحمان طه. (2002). *الحق العربي في الاختلاف الفلسفيء*. بيروت: المركز الثقافي العربي، الدار البيضا.

عبد الرزاق عيد. (28 03, 2005). *نقد نقد العقل العربي*. تم الاسترداد من فلاسفة العرب جريدة الجزيرة: http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Tarabishi/Art_Eid.htm

فوكو، ميشال،. (2005). *حفريات المعرفة* (الإصدار 3). (سالم يفوت، المترجمون) بيروت: المركز الثقافي العربي.

محمد الصباحي. (2010). *رهانات الفلسفة العربية المعاصرة* (الإصدار 1). (مطبعة الامنية، المحرر) الرباط: كليةالاداب و العلوم الانسانية بالرباط.

محمد عابد الجابري. (1982). *الخطاب العربي المعاصر* (الإصدار 1). بيروت: دار الطليعة للنشر.

محمد عابد الجابري. (1985). *تكوين العقل العربي* (الإصدار 2). بيروت: دار الطليعة للنشر.

محمد عابد الجابري. (1986). *بنية العقل العربي*. بيروت : مركز الوحدة العربية .

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 14 عدد 1 جوان 2023
العنوان: الميتانقد في الخطاب الفلسفي العربي المعاصر (جورج طرابيشي أنموذجا).
ص ص 518 - 539

محمد عابد الجابري. (2020). *التراث والحداثة*.
محمد نور الدين اخاية. (2014). *في النقد الفلسفي المعاصر -مصادره الغربية وتجلاياته العربية* - (الإصدار 1). بيروت: مركز دراسات الوجحدة العربية.

الناصرية
الناصرية

المؤلف المراسل: لاكلي حنان
laklihanane@gmail.com